الاولي وما أعتقد صحته ويؤيدني فيه الكثير من اخواني المعلمين والله الموفق لما فيه الصواب لخير البلاد ؟ بسيوني سرحان

بمدرسة كوم الدكة الاولية الاميرية

التربية وأغراضها

للمربين والمفكرين في التربية وأغراضها آراء عدة تتباين في طريقها وتتقارب أو تتحد في مرماها وفي الغاية المنشودة وهي الكمال في مظهر من مظاهره أو شعبة من شعبه أو مرحلة من مراحله القريبة المدي أو المترامية الاطراف .

وسبب هذا الاختلاف هو التباين في الميول والمشارب والنزعات والبيئات وغير ذلك مما ينشأ عنه الاختلاف في آراء بني الانسان وعقائدهم ووجهة نظرهم . هذا الي أن حقيقة الحياة وكنه العالم لا تزال سرا لم يهتد الانسان الي كشف خباياه ودقائقه ولا يزال الحق الناصع الصريح خفي المعالم تطمسه الاهواء وتحول بيننا وبينه المطامع والشهوات. ولذا اتجهت الشعوب في العصور المختلفة مناحي كثيرة في التربية والتهذيب . ولا نجادل في أن وجهتهم في ذلك كانت تنمية الانسان تنمية صالحة حتي تكمل الافراد وترقي المجتمعات على حسب ما أملت عليهم عقولهم وهدتهم تجاربهم وقضت به أحوالهم الاجتماعية والسياسية وما عليه بلادهم من خصب أو جدب أو سلم أو حرب أو سعادة أو شقاء أو شدة أو رخاء .

وربما ساعدنا على الوصول الي حقيقة التربية أن ننظر الي فطرة

الانسان وما امتاز به عن سائر المخلوقات : فالانسان قد امتاز بصفتين وهما قدرته على الاستفادة من تجاربه ، واستعداده للانتفاع بتجارب غيره وقد يشاركه في الصفة الاولي بعض أنواع الحيوان الي درجة محدودة . أما الصفة الثانية فهي من خصائصه التي امتاز بها . وبغير هاتين الصفتين لا يكون للانسان فضل على الحيوان ، بل يكون أقل منه شأنا وأضعف حولا . فقد خلق الانسان ضعيفا عاجزا لا يستطيع السعى وراء مطالبه الا بعد أن يشتد أزره ويقوي جسمه وتنمو مواهبه . ومن هذا نري أن « التجارب » والانتفاع بها والقدرة على الاستفادة منها هي المحور الذي تدور عليه التربية . وقد رأي بعض المربين بناء على هذا أن التربية هي أن نعد الانسان بتجارب يسترشد بها في حياته كى تكون أعماله أرقي وأكمل . ولا يغيب عنا ان هذه التجارب لا بد أن تستخدم في شحذ المواهب الانسانية ، وأن تحاط بسياج من الخلق الصحيح حتى تكون نافعة للفرد وللمجموع .

وقد نظر ارسطاطاليس من جهة أخري فرأي أن في الانسان قوتين احداهما فكرية انسانية والاخري شهوانية بهيمية ، والتربية هي الوسائل التي بها يتغلب الفكر الانسانى على الشهوات البهيمية .

وقد نظر المربون الي حياة الانسان من جهات متعددة ، فمنهم من نظر الي الاخلاق ، منهم من نظر الى الهيئة الاجتماعية ، ومنهم من نظر الي الجهة العملية المادية ، ومنهم من نظر الي العقل وتثقيفه ، ومنهم من نظر الي الكمال المطلق . فكان لهم بناء على ذلك تعاريف مختلفة للتربية وجهات كثيرة في

الغاية التي ينشدونها مثل كسب العيش، أو تعلم العلم لذاته، أو تثقيف الفرد، أو تهذيب الخلق، او غير ذلك. ولا نقصدهنا ان نتعرض لهذه الاغراض وما قيل فيها من نقد او استحسان، بل الغرض ان نذكر كلمة مجملة عن تدرجها من العصور الوسطي الي العصور الحديثة.

ترجع اغراض التربية اجمالا الي غرضين اصليين وهما :—

١ — تثقيف الفرد وتهذيبه

٢ — المقدرة او الكفاية (الكفاءة). والاول هو غاية من ينشدون الكمال لذاته ويبغون الوصول الي المثل الاعلى. والثاني غرض مادي يرمي الي المنفعة والفائدة العملية. وليس الغرضان بمنفصلين انفصالا تاما. فان من يقولون بتثقيف الفرد وتهذيبه لا ينكرون ان لهذا التثقيف غاية عملية. ومن يهتمون بالمقدرة والكفاية لا يغضون النظر عن صفات وخصال في الفرد تقصد لذاتها بالتهذيب والتثقيف. ولم تخل العصور المختلفة للتربية من الجمع بين الغرضين الى درجة ما. ولكننا لا نخطيء اذا قلنا إن التربية من العصور الوسطى الي القرن التاسع عشر كان غرضها الاساسي هو التثقيف والكمال الفردي. وقد ظهر ذلك في صور عدة أهمها ما يأتي :

١ — التهذيب الروحي : كان شعار التربية واخص صفاتها في العصور الوسطى انها دينية. ولا يقدح في ذلك أن الجامعات مبدأ نشأتها كان بها شيء من الطب والقانون فان هذا لم يكن بالقاعدة السائدة فقد كانت الاغراض الدينية هي الغالبة، وكانت الحياة الصحيحة في رأي هذا العصر

هي الحياة الروحية ، والتربية في نظرهم هي تطهير الروح من ارجاس الدنيا وشرورها . وليس هذا الغرض من مستحدثات العصور الوسطى فقد ساد في ازمنة قبلها وانتقلها كثيرون في عصور مختلفة ترجع الى زمن بعيد . وكان لافلاطون من الاراء ما يتصل بهذا ، فقد قال : « ان الغرض من الحياة ان يخلص الانسان من سجنه وان تفك عنه الاغلال حتى يخرج من الظلمات الى النور وينهض من الدرك الاسفل الى الشمس المشرقة . فترقي الروح الى ارفع الدرجات »

٢ — التهذيب الادبي والاجتماعي : جاء عصر النهضة فغير ما كان سائدا من تغلب الاغراض الدينية للتربية وأصبح غرضها بين الطبقات الراقية (الارستقراطية) الاهتمام بالادب والعناية بطريف التحف الجميلة ونحو ذلك مما احدثه عصر النهضة . ويرجع ذلك الى انتشار الرخاء والسلام ورقي الحياة الاجتماعية في بلاط الحكام ومجامع الطبقات الراقية . وقد استلزم ذلك العناية بالفنون الادبية والسياسية والاهتمام بكل طريف . واصبح المثل الاعلى للرقي هو البراعة الادبية والاجتماعية وصرف ساعات الفراغ في جميل الفنون وطريف الاداب .

٣ — المعلومات العامة : وهو غرض يرمي اليه المتعلم والفيلسوف والعالم . واليه كان يرمي افلاطون وارسطاطاليس . وهو اكثر الاغراض التهذيب الشخصي انتشارا ، وربما اختلط ببعض الاغراض الاخرى . فبعض انصار هذا الراي كانوا يرون ان العلم وسيلة للنجاة في الآخرة .

وهذا الغرض هو السبب فيما انتشر من العلوم والفلسفة في عصر

النهضة ، وبفضله اقبل كثيرون على طلب العلوم الدنيوية حتى كاد ذلك يتغلب على الاشتغال بالعلوم الدينية . ولقد تغالى بعض انصار هذا الغرض في التوسع فيما يريدون بالمعلومات العامة حتى كانت مناهجهم العلمية ترمي الى تعلم كل شيء

انتشر هذا الغرض العلمي وكاد يطمس معالم الغرض الادبي الذى كان منتشرا في عصر النهضة ، وساعد على ذلك تدهور طرق الدراسة الادبية وتحولها الى دراسة لفظية محورها حفظ قواعد اللغة اللاتينية وما يتصل بها . ولكن انصار الغرض الادبي لم ينهزموا أمام تيار الغرض العلمي بل كافحوا وبذلك ظل غرضهم باقيا بعد ذلك نحو قرنين من الزمان .

على ان الصراع والمناقشة بين أصحاب هذين الغرضين العلمي والادبي قد ساعد على ظهور غرض من أهم الاغراض وهو التثقيف العقلي

٤ — التثقيف العقلي : وكان المقصود من هذا الغرض شحذ المواهب العقلية من غير نظر الى العلوم او المواد التى تستخدم في هذا السبيل . وقد ساعد ذلك على ارتفاع شأن الفنون الادبية واللغوية وثباتها في ميدان الدراسة . فان انصار هذا الرأى لم يعارضوا في المادة متى كان الغرض منها تثقيف العقل وشحذه .

ومن انصار هذا الغرض « جون لوك » اذ يقول : « ليس الغرض من التربية ان ينبغ المتعلم في علم خاص ولكن الغرض توسيع عقله واعداد فكره للسير فيما عسى ان يتصدى له في المستقبل . ولا بد ان يكون مجال

التعليم حرا واسعا يشمل كل انواع العلوم كي يكون تمرين العقل تاما واسع النطاق . ولست اقصد المعلومات لذاتها بل لما ينشأ عنها من تمرين قوة التفكير . فالغرض تقوية العقل لا ملؤه بالحقائق »

ولكن « لوك » لم يكن ممن يضيقون غرض التربية ويقصرون التثقيف العقلي على دراسة الآداب والقواعد اللفظية . وانما كان غرضه فك الاغلال والقيود التي كانت تضيق الخناق على مواد الدراسة وتحصرها في دائرة صغيرة . ويظهر ذلك من عبارته الآتية التي ينتقد فيها ما كان منتشرا من الافكار بشأن التعليم وتقوية الحافظة: « يقولون إن الاطفال يجب أن يستظهروا العلوم حتى تقوى حافظتهم . ولقد كان يجدر بأصحاب هذا الرأى أن يبنوه على حكم سديد وتجربة صادقة وملاحظة دقيقة . فان تقوية الحافظة ترجع الى نظام نفسي أساسه انشراح الصدر وابتهاج الطبع لا الى تلك التمرينات التي يرددها اللسان فيألفها ويقوى على إعادتها »

وإنه لمن دواعي الاسف ان هذا الغرض وهو تثقيف العقل كان منتشرا في المدارس اذ ذاك بطريقة ضيقة مقيدة يقصد فيها الى دراسة قواعد اللغة اللاتينية وآدابها . وقد ظلت الحال كذلك نحو قرنين من الزمان .

٥ — الشخصية : وذلك بتربية المرء تربية استقلالية طبيعية . وقد ظهر هذا الغرض في القرن الثامن عشر بسبب ما تشبعت به العقول من وجوب القضاء على النظم السابقة والتقاليد الجامدة والطرق المتكلفة

والتفكير في إقامة النظام الجديد على اساس متين تتجلى فيه حقوق الانسان وقيمته الفردية . ولقد بدا ذلك فيما كان ينادى به « روسو » من ان التربية وكذا الحكومة يجب ان يكون شعارها الحرية . وان خير انواع التربية هى التربية الاستقلالية المستمدة من الطبيعة . فالطبيعة هى التى تقوم بتنمية المواهب الكامنة في الناشىء .

وقد قال في كتابه « اميل » :

« ان الطبيعة ومظاهرها خير محض فاذا تناولتها يد الانسان انحطت وفسدت . والتربية هى الوسيلة التى بها نستمد مالم نزود به من المواهب وما نحتاج اليه في حياتنا من القوى العقلية وغيرها . ومصادر التربية ثلاثة : الطبيعية والانسان والاشياء . فنمو مواهبنا النفسية وقوانا الباطنة مصدره الطبيعية . والطريقة التى نستخدم بها مواهبنا مصدرها الانسان . وكسب التجارب المرتبطة بما يحيط بنا مصدره الاشياء . واذ كان من الضرورى انضمام هذه المصادر وتعاونها لزم ان تكون السيطرة للمصدر المستقل عنا وهو الطبيعة ، فلتكن هى الاساس فى التربية ولتتخذها قائدا للمصدرين الآخرين » .

فروسو اذن يرمى الي ترك الطفل حرا كي تنمو مواهبه التي اودعها الله فيه . وقد كان « بستالوتزى » و « فروبل » من أتباع روسو في هذا الغرض (المقدرة او الكفاية)

بالموازنة بين هذا الغرض والغرض السابق نجد السابق فرديا ينظر الي حقيقة

الفرد الروحية او العقلية ، او الي ذوقه وميله الي الجمال ، او الي معلوماته العامة . اما هذا الغرض فالعناية فيه موجهة الى ما يحيط بالمرء من المظاهر الخارجية والي قدرته على السعي والعمل كي يكون نافعا في حياته .

وسنعود الي اغراض التربية في القرن التاسع عشر وما ظهر فيه من أساليب التربية وطرقها في فرصة اخري ان شاء الله تعالى .

عبد الحميد حسن

المدرس بدار العلوم

نهر النيجر ومناظره

يبلغ طول دال النيجر ثمانين ميلا تقريبا ومنظرها لا يقل قبحا عن غيرها في مثل اقليمها ففي الجزء الجنوبي منها . قرب الشاطئ . لا يوجد غير الاشجار الملطخة بالوحل . ولا يشم هناك غير الروائح الكريهة التي تجلب الاوبئة ، ولا يسمع أي صوت يقطع ذلك السكون ، العميق المخيم علي تلك الارجاء اللهم الا صفير البيغاء الحاد أو قهقهة القرد العالية . ولا يوجد غير هذا من دلائل الحياة هناك الا ديكة مائية ترى سابحة على سطح ماء النهر ولذلك كان العيش في هذا الاقليم عسيرا ان لم يكن مستحيلا ، فلا يستطيع الانسان أن يناضل الطبيعة ليرغمها على أن تجود عليه بما يسد به رمقه الا عند رأس الدال ، حيث تنمو أشجار النخيل والجوز التي أعزت الوطنيين السكنى هناك وبمناضلة الملاريا وتحمل المتاعب التي تنجم من فيضان النهر سنويا على ضفافه ، حتي تعودوا الاقامة في